تاريخ الاستلام: 2023/02/24 تاريخ القبول: 2023/04/26 تاريخ النشر: 2023/06/18

ريـــمة زنـــانرة *
جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل (الجزائر)
Email : rimazenanra@yahoo.com

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العـدد 01 –السنة 2023 ص ص 147-174
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

الملخص:

تعتبرعملية التنشئة الاجتماعية عملية تكيّف الفرد مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بكل ما يحمله من قيم وأخلاق وسلوكيات معينة، وأن أي خرق لهذه السلوكيات هو شذوذ أو انحراف غير مقبول اجتماعيا. وهي عملية تستمر مدى حياة الإنسان وتتعدد المؤسسات الاجتماعية التي تشرف على إعداد الفرد للحياة الاجتماعية تبعا لمراحل نموه. حيث تبدأ الأسرة بهذه العملية، ثم تتدخل جماعة الأتراب أو جماعة اللعب، ثم المدرسة، ثم دور العبادة ووسائل الإعلام...، وهكذا، وتبقى الأسرة أهم هذه المؤسسات كونها مؤسسة تستمر في عملية تنشئة الفرد مدى الحياة، حيث تؤثر الأسرة في حياة الطفل تأثيرا يبدأ بالعلاقة الوثقى التي تقوم بينه وبين أمه ثم يتطور هذا التأثير إلى علاقة أولية تربطه بأبيه وبأفراد الأسرة الآخرين، لكن توسع محيط المعاملات و التعاملات بالنسبة للفرد واندماجه ضمن هياكل اجتماعية جديدة يمكنه من اكتساب خبرات تساهم في تشكيل شخصيته فإما تساعده على التكيف مع مجتمعه أو تجعله يحيد عن القيم والمعايير الاجتماعية ويكتسب وصم المنحرف.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية، الانحراف، الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام.

Abstract:

The process of socialization is the process of adapting the individual to the social milieu in which he lives with all the values, morals and behaviors that he carries, and that any breach of these behaviors is an anomaly or deviation that is socially unacceptable. It is a process that continues throughout a person's life, and there are many social institutions that supervise the preparation of the individual for social life, according to the stages of his development. Where the family begins with this process, then the peer group or the play group intervenes, then the school, the places of worship and the media.... and so on. The family remains the most important of these institutions as it is an institution that continues in the process of upbringing the individual throughout life, as the family influences the child's life in an impact. It begins with the close relationship that exists between him and his mother, then this influence develops into a primary relationship that binds him to his father and other family members. However, the expansion of the area of transactions and dealings for the individual and his integration into good social structures enables him to acquire experiences that contribute to shaping his personality, either helping him to adapt to his society or making him deviates from social values and norms and writes the stigma of the deviant.

***Keywords** : Socialization,School,Family-Delinquency, Sovial Media*

* المؤلف المرسل: ريـمة زنـانرة

1. المقدمة

إنّ عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات تأثيرا على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية بما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها. وتعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم عبر وسائط متعددة تعد الأسرة من أهمها، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية، كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخر. ويبرز دورها في توجيه وإرشاد الأبناء من خلال طرق تربوية معينة تنعكس على سلوك الأبناء إيجابا أو سلبا.

وإذا كانت الأسرة أهم حلقة في السلسلة الاجتماعية التي تعنى بتنشئة الأجيال فإن للمناخ الاجتماعي العام إسهاما في هذه العملية كالمدرسة وجماعة الرفاق، جماعة الحي، المسجد...الخ، وتأثيره لا يقل أهمية عن دور الأسرة، كما أن وظيفة هذه المؤسسات هي إنتاج المواطن الصالح المتكيف مع المعايير الاجتماعية من أجل ضمان استمرار واستقرار النسق الاجتماعي العام، فإنه بإمكان هذه المؤسسات القيام بدور عكسي إذا ما وجد بها خللا وظيفيا معينا يؤثر سلبا على وظيفتها المنوطة بها، كالتفكك الأسري بالنسبة للأسرة واستخدام أساليب تربوية خاطئة أو التربية بالعنف وكوجود رفقة سيئة بالنسبة لجماعة الرفاق ،أو تعسف الإدارة المدرسية أو المعلمين بالنسبة للمدرسة ،أو نقل القيم الثقافية الدخيلة على الثقافة المحلية بالنسبة لوسائل الإعلام وغيرها، الأمر الذي قد يؤدي إلى إنشاء أفراد منحرفين وخارجين عن المعايير الاجتماعية بدل إنتاج أفراد متكيفين مع قيم ومعايير المجتمع، وهو الأمر الذي سنحاول توضيحه في هده الورقة البحثية.

2. الإشكالية:

تؤدي عملية التنشئة الاجتماعية دور مهم في عمليتين التكوين والإدماج الاجتماعي من خلال مؤسساتها بدءاً بالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق إضافة إلى وسائل الإعلام خاصة القنوات التلفزيونية الفضائية وتأثيراتها على تصورات وسلوك الأفراد فالتنشئة الاجتماعية عملية يتم بواسطتها تشكيل السلوك الإنساني وتكوين المعايير والقيم والاتجاهات والمهارات

للأفراد حتى يتناسب مع دورهم الاجتماعي ولذلك فليس للمجتمع أن يهملها فهي من أهم عوامل بقائه واستمراريته من خلال توفير الظروف والسبل والوسائل التي تحقق نمو الأفراد في إطار اجتماعي معين على نحو يجعله يلتزم بقواعد الضبط الاجتماعي ومقتضياته من خلال مجموعة الأنساق القيمية والأخلاقية التي تسعى هذه المؤسسات إلى استدماجها في شخصية الفرد وهي أنساق يعتمدها المجتمع ويرتضيها.

إن الحديث عن بناء الشخصية السوية والنمو النفسي والاجتماعي السليم للأفراد يثير لدينا كباحثين تساؤلا مشروعا عن طبيعة المناخ الاجتماعي الملائم لتحقيق تنشئة اجتماعية سليمة للطفل وذلك بالتساؤل عن المطبات أو مكامن الخلل التي يمكن أن تصيب مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتجعلها تخل بوظيفتها أو تحول دون تحقيقها على أكل وجه ومن هنا كان التساؤل التالي:

ماهي مكامن الخلل داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي من شئنها أن تساهم في إنتاج ظاهرة الانحراف بدل إنتاج الفرد المتكيّف مع المعايير والقيم الاجتماعية؟

وتحت هذا التساؤل الرئيسي يمكن لنا طرح الأسئلة التالية"

1- ماهي الإختلالات التي توجد داخل مؤسسة الأسرة التي تساهم في إنتاج ظاهرة الانحراف؟

2- ماهي الإختلالات الموجودة داخل مؤسسة المدرسة ويمكن لها أن تساهم في إنتاج ظاهرة الانحراف؟

3- كيف تساهم وسائل الإعلام في إنتاج ظاهرة الانحراف؟

3. مفاهيم الدراسة:

1.3 مفهوم الانحراف (السلوك الإنحرافي):

الانحراف هو الجناح ترجمة لكلمة Délinquance في الإنجليزية وDélinquance في الفرنسية وهو ينطبق بمعناه الواسع على أي سلوك لا يتفق مع توقعات ومعايير السلوك الفردي العامة والمقرر داخل النسق الاجتماعي. (الخشاب، دس، ص 212)

وجاء تعريف مصطلح الانحراف في قاموس مصطلحات علم الاجتماع على أنه: "عدم مسايرة المعايير الاجتماعية". (مداس، 2003، ص 39)

ويشير مصطلح الانحراف عند كلينارد إلى "تلك المواقف التي يكون السلوك فيها موجها توجيها مستهجنا من وجهة نظر المعايير ويتميز بأنه قد وصل إلى درجة كبيرة من تجاوز حدود التسامح في المجتمع".

ويقرر إركسون أنه يمكن تعريف الانحراف "كسلوك ينظر إليه عموما على أنه يجذب انتباه هيئات الضبط الاجتماعي أو سلوك ينبغي أن يتخذ إجراء ما بصدده". (جابر، 2004، ص 384)

وقد أورد كوهين في الفصل الذي كتبه عن دراسة التفكك الاجتماعي والسلوك الإنحرافي من كتاب علم الاجتماع اليوم تعريفا للسلوك الإنحرافي باعتباره "سلوكا يخالف التوقعات النظامية أي التوقعات المشتركة والمعترف بها باعتبارها شرعية في نسق اجتماعي معين".

أما ميتون فيقرر أن "السلوك الإنحرافي يشير إلى سلوك يخرج أساسا عن المعايير التي وضعت للأشخاص في مراكزهم ولا يمكن وصفه بصورة مجردة وإنما ينبغي ربطه بالمعايير التي حددها المجتمع وأقرها بوصفها ملائمة ومفروضة أخلاقيا على أشخاص يشغلون عدة مراكز اجتماعية". (جابر، 2004، ص 383)

كما جاء في قاموس مصطلحات علم الاجتماع تعريف السلوك المنحرف بأنه السلوك الذي يتعارض أو يتصارع مع المستويات والمعايير المقبولة ثقافيا واجتماعيا داخل نسق أو جماعة اجتماعية". (مداس، 2003، ص 140)

ويعرف أيضا (الانحراف): وصف عام يطلق على كل سلوك لا يتسق مع القاعدة الأخلاقية أو القانونية أو الدينية أو الإنسانية أو حتى في بعض الأحيان مع العرف العام للمجتمع، فهو تجاوز لقيم المجتمع وإهمال لقواعده الاجتماعية وتعدى على نمط الحياة الاجتماعية القائم". (عامر، 2003، ص242)

ولذلك فقد تباينت تعاريف العلماء والباحثين حول مفهوم الانحراف أو السلوك الإنحرافي، هذا ويمكن تصور "الانحراف" على أساس وجود نظام اجتماعي أو نسق اجتماعي معين يظهر على شكل مواقف بالنسبة للمنحرف الذي يقوم بأفعال لا تتوافق مع القواعد التي يصنعها النظام أو النسق الاجتماعي، وعليه فكلمة انحراف تعني الخروج عن القواعد السليمة التي حددها المجتمع". (غيث، 2006، ص 219)

2.3 مفهوم التنشئة الاجتماعية

تكتسي عملية التنشئة الاجتماعية أهمية خاصة كونها العملية التي يكتسب من خلالها الفرد إنسانيته ويمتص مختلف جوانب ثقافة المجتمع من لغة ودين وعلم وأخلاق وأنماط السلوك المقبولة فيه، والتنشئة الاجتماعية ترجمة لمصطلح Socialisation في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، كما أن المصطلح العربي يتضمن كلمة تنشئة التي تعني "أقام"، وهذا الإنشاء له صفة اجتماعية وأطلقت عليه تسميات مختلفة كالتعليم الاجتماعي، الاندماج الاجتماعي، التطبيع الاجتماعي.

وقد عرف جيمس دريفر (1964) التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتكيف أو يتوافق الفرد من خلالها مع بيئته الاجتماعية ويصبح عضوا معترفا به ومتعاونا وكفئا ". (العيسوي، 2000، ص 261)

وينظر "شافير" "Schaffer" لعملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها "انتقال الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ويتم هذا الانتقال عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآخرين". (أبو جادو، 1998، ص74)

ويرى Field أن التنشئة الاجتماعية بمثابة جهاز استدخال لمعايير وقيم المجتمع والحضارة، بحيث تتحول هذه القيم والتقاليد والمعايير إلى جزء من البناء النفسي للفرد وهكذا يذوب الفرد في البناء الاجتماعي". (الشربيني و يسرية، 1996، ص 28)

ويرى تالكوت بارسونز: "بأن التنشئة الاجتماعية ليست سوى غرس البعد الثقافي والاجتماعي في بناء الشخصية الإنسانية، حيث تقوم الأسرة ومؤسسات المجتمع بتلقين

الطفل قيم المجتمع وثقافته، حيث يصبح لديه في النهاية مكونا ثقافيا وقيميا داخل بناء الشخصية يوجهه إلى طبيعة السلوكيات التي ينبغي إنجازها في السياق الاجتماعي". (ليلة، د س، ص83)

ويرى "بول سبنسر Paal Specer" أن التنشئة الاجتماعية لها مفهومان: أحدهما يتصل بعملية التعلم الاجتماعي للأطفال، حيث تقوم بغرس قيم ومعايير الجماعة لدى الناشئين لدرجة تمثلهم لها ومشاركتهم فيها، والثاني شامل يمتد من محيط الأطفال ومجالهم إلى محيط الراشدين، حيث يتم فيها غرس للقيم والمهارات والمعايير من ناحية، وربطهم بالجماعة الاجتماعية بالدرجة التي تمكنه من التوافق الاجتماعي من ناحية أخرى". (أحمد رشوان، 2003، ص 151)

ويعرفها مُحَمَّد عاطف غيث بأنها: الْعملية التي يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيّف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعي الذي توافق عليه ،أو هي العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها، وطبقا لهذا التعريف تكون التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة على مدى الحياة". (غيث، قاموس علم الاجتماع، 2006، ص 414)

ويعرفها حامد عبد السلام زهران بأنها: "عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى اكتساب الفرد طفلا، فمراهقا، فراشدا، فشيخا، سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة مجتمعه والتوافق الاجتماعي معه، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية". (شروخ، 2004، ص57)

4. النظريات المفسرة للظاهرة الانحرافية:

1.4 النظرية البيولوجية:

تعتمد النظريات البيولوجية على مقولة تأثير الخصائص الجسدية للفرد على سلوكه، واهتم رواد هذه النظريات بالتركيب البيولوجي والتشريحي للمجرمين في محاولة لفحص رأس المجرم وشكل دماغه ووسامة وجهه وطول قامته وعرض صدره وطول ذراعيه وساقيه وقوة

سمعه وشمه وأبصاره. كذلك حاولا فحص العلاقة بين الإجرام والعاهات الجسمية ومدى الحساسية للألم والقابلية للشفاء من الجروح. وتنضوي هذه النظريات تحت إطار ما يسمى بالمذهب البيولوجي أو المذهب الوراثي الذي يفسر الانحراف والجريمة بالرجوع إلى عوامل وراثية لا يسيطر عليها الإنسان، ومن أهم روادها الإيطالي لومبروز.حيث يرى لومبروز أن هناك علاقة إيجابية بين الصفات الجسمية والانحراف والتشرد، ويفترض أن السلوك الإجرامي ينشأ بحتمية بيولوجية موروثة، فالمجرم وفق هذا التفسير شخص مريض يعاني من مرض السلوك الإجرامي، ويعد لومبروز مبتكرا لنظرية المجرم بالفطرة أو المجرم المطبوع.

إن المجرم حسب هذه النظرية شخص يولد مزودا باستعداد طبيعي للقيام بالأعمال الإجرامية، حاول لومبروزو أن يجدد لنا الملامح الفيزيقية للمجرم في عدة خصائص مثل ضخامة الفك وضيف الجبهة واندفاع الأذن بعيدا عن الرأس...الخ، وهذا ما عبر عنه في دراساته المتعددة عن "الرجل المريض" "المرأة المجرمة" وبوجه عام يحاول لومبروز تصوير المجرم في شكل ضخم ومردد هذه الضخامة هو ما يطلق عليه الارتداد أو النكسة الوراثية.

إنّ نظرية لومبروزو تفترض ما يلي:

– يمكن أن نميز النموذج الإجرامي بسمات تشريحية وعقلية ونفسية ومزاجية معينة، وهذه جميعها تشكل صفات انحطاطية أولى يسميها لومبروزو وصمات انحلال.

– المجرمون يشكلون نموذجا خاصا بالوراثة.

– أن النموذج الإجرامي الكامل للمجرم المطبوع هو الذي يتميز بأكثر من خمس سمات انحطاطية، أما النموذج غير الكامل هو نقل سماته عن الخمس دون الثلاث، أما من نقل سماته الإنحطاطية عن الثلاث فهو يعتبر نموذجا إجراميا معينا.

– أن السمات الإنحطاطية التي يتميز بها المجرم ليست هي سبب الجريمة بذاتها، وإنما هي سمات وصفات مميزة لتشخيص المجرم عن غير المجرم، ومع ذلك فهي تزيد من قابلية الفرد وتضاعف استعداده لارتكاب الجريمة أكثر من غيره.

– وجود هذه السمات الإنحطاطية للمجرمين تعود إلى فرضيتين أساسيتين الأولى فرضية الردة الوراثية أو الانتكاس الوراثي، الذي يعود بالإنسان المجرم إلى مرحلة الإنسان المتوحش أو إلى مرحلة حيوانية واطئة.

أما الفرضية الثانية التي يفسر بها لومبروزو مجرمه المطبوع فهي تقوم على الإنحطاطية المرضية التي تنشأ من مرض الصرع الذي ينتقل بالوراثة.

أن المجرم المطبوع يتميز باستعداد طبيعي حول ارتكاب الجريمة، ولذلك فليس بوسعه تحاشيها إلا في حالات نادرة، باختصار فقد اتجه اتجاها بيولوجيا مؤكدا على الحتمية البيولوجية معترفا بقوة هذه الأسباب البيولوجية على الرغم من اختلاف الظروف الاقتصادية واختلاف البيئة (الدوري، 1985، الصفحات 122–123) غير أن العالم لومبروزو قد خفف من حدة تنظيراته بأن أدخل العالم الإجتماعي في حسابه، وذلك بأن جعل بيئة المنحرف وظروفه عوامل محركة لنزاعاته الإجرامية المترسبة في داخله والظاهرة على مظهره أو مهيجته لجهازه العضوي الداخلي المختل الوظائف، وقد ضمن هذه الملاحظات والإضافات في الطبعات الأربع المنقحة التي ظهرت تباعا لكتابة الإنسان الجانح الذي نشره عام 1913.

إلى جانب نظرية لومبروزو تبني نظرية التكوين الجبلي آراءها وأفكارها على أساس دراسة الإنسان كوحدة جسمية نفسية، وأن سلوك الإنسان يقوم وينتج عن تكوينه الجبلي المتمثل في الخصائص الفيزيولوجية والمورفولوجية والنفسية والتي تأثرت بعوامل الوراثة والولادة. (عارف، 1981، ص 135)

ومن جانب آخر فإن أنصار هذه النظرية يؤمنون بأن المجرم الذي يتعود الإجرام يكون ذا تكوين جبلي يصعب عليه التكيف والتوافق مع المجتمع، أو الخضوع لسلطان القانون.

ويعتبر العالم كرت شمر (shmer Krutt) أحد أنصار هذه النظرية، حيث حاول أن يربط بين النمط العام لجسم الإنسان ونمط مزاجه العقلي، ومن ثم ربط هذين النمطين بالسلوك الجرمي.

ولذلك نجد أن بعض الناس يجنح للجريمة، في حين لا نجد هذا الجنوح عند غيرهم وأن الظروف الخارجية المحيطة هي التي تحفز وتنبه النزعة الإجرامية وتعمل على تفجيرها، هذه

النزعة ترتبط أساسا بتكوين جبلي قائم على التكوين النفسي والجسمي وهذا ما يميز المجرم عن سواه.

2.4 النظرية النفسية:

يرجع علماء النفس الانحراف إلى الاضطرابات العاطفية، ويرون كذلك أن تفسير السلوك الجانح ما هو إلا أسلوب حركي لتكوين علاقة مع الأشخاص الآخرين تكمن وراءه دوافع عدوانية كالدافع الجنسي أو العدواني ويحاول أتباع النظريات النفسية البحث في ذات الإنسان لأن مكونات شخصية الفرد الداخلية هي التي تدفعه للإقدام على أي سلوك أكان هذا السلوك منحرفا أو سويا.

ويعتبر سجموند فرويد (Fruied Sagmond) 1856-1939 مؤسس وعميد مدرسة التحليل النفسي والتي تسعى لمعرفة مصدر المشكلة أو المرض النفسي من خلال دراسة اللاشعور الذي يشتمل على الذكريات المفرحة والمؤلمة لأي فرد كان، قد سعت نظرية التحليل النفسي إلى تفسير السلوك الإنحرافي كما سنبينه فيما يلي:

يرى الطبيب النمساوي فرويد أن الطفل يبدأ حياته كائنا غير اجتماعي همه إشباع حاجاته ورغباته وغرائزه بأي شكل من الأشكال وقد قسم فرويد الشخصية الإنسانية إلى ثلاث أقسام:

أ.الهوى: وتشمل الغرائز الفطرية والشهوات وهي مستودع تنازع غريزتي الجنس والموت، وتسعى هذه الذات لإشباع جميع رغبات وشهوات الإنسان بأي وسلة كانت حتى الإنسان الاضطراب (فتحي، 1958، ص74-76). ويرمز للذات البدائية (ID) وهي كلمة لاتينية تعني الضمير الغائب لغير العاقل أي أنها النفس الشهوانية والطفل عندما يولد يكون مزودا بهذه الغرائز الفطرية ولا يسعى الطفل في هذه المرحلة العمرية من حياته إلا لإشباع غرائزه حتى يتخلص من آلامه، لذا فإنه يعيش لذاته وإرضاء أنانيته على حساب الآخرين، وهو في هذه الحالة يعتبر كائنا غير اجتماعي.

ب.الأنا: تأتي هذه المرحلة عندما تنمو حواس الطفل وأجهزته العقلية والعصبية وتزداد خبرته بمن حوله من العالم الخارجي، فيبدأ بتفهم ذاته أول بأول وعندما تتسع مداركه ويشعر بذاته وشخصيته ويتعرف على بيئته التي تبدأ بالأسرة ثم تتسع إلى العالم الخارجي فتزداد رغباته وتتشعب علاقاته، ومع هذا التشعبي تبدأ هذه الرغبات بالاصطدام بالواقع الخارجي الذي قد لا يحقق جميع هذه الرغبات، ومن هنا يبدأ الصراع بين إشباع غرائز ورغبات الطفل وبين متطلبات البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وتبدأ الضغوطات النفسية عليه فيلجأ للاستجابة والتنازل عن هذه الرغبات تدريجيا فتكتب في اللاشعور. (العكايلة، 2006، ص 136)

وتقف الذات موقف التعقل فتبدأ بالتوفيق بين ضرورة إشباع رغبات الطفل حتى تجنبه الألم من جهة وتجنب ما يناقض قوانين وأعراف وقيم المجتمع من جهة أخرى، وتعتمد درجة التوافق في السلوك على قدرة الأنا على التوفيق السليم بين رغبات الفرد وبين الواقع الذي يعيشه، وأن عدم قدرة الأنا على السيطرة أو ضعفها يؤدي بالشخص إلى السلوك المرضي أو الجانح، بسبب إشباع الدوافع الفطرية بشكل زائد، وسيادة مبدأ اللذة وإهمال مبدأ الواقع.

- **الأنا العليا:** وتعرف بالضمير أو النفس اللوامة، وتتضمن المبادئ والمثل والقيم والدينية الموروثة عن طريق التوارث الاجتماعي. (فتحي، علم النفس الجنائي، 1958، ص 90-91)

ويرتبط نمو الأنا العلوي بسلامة نمو الذات وتتميز الأنا العليا بقدرتها على ضبط الأمور والتأثير في التوجه العام للشخصية، وإذا ما ضعفت الذات العليا فإن هذا يجعلها تتحور وتفلت من القيم والمثل، وتتحرر كذلك الدوافع والغرائز وتبدأ بالتفتيش والبحث عن طرق ووسائل الإشباع. وتحقيق اللذة دون النظر لأي معيار أو قيمة خلقية أو دينية وهنا يقع الشخص في الانحراف.

يقول أتباع نظرية فرويد أن الجريمة تنشأ عن العقد النفسية التي تكونت عند الفرد أيام الطفولة بدءا بصدمة الميلاد وعقدة أو ذنب وعقدة النقص العضوي، والتنشئة الأسرية غير السليمة والتي تؤدي إلى تضارب الأجهزة الثلاثة (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)، وكذلك

فإن ضعف الأنا وعدم قدرتها على التوفيق بين نزعات الهو، والواقع الذي يعيشه الفرد بسبب الجريمة والممارسات الإجرامية والسلوكات الإنحرافية. (زهران، 1980، ص 115)

بالإضافة إلى ما سبق قوله، فنجد المحدثين في نظرية التحليل النفسي مثل أدلر الذي تقوم نظريته على أسس هدفية قد سلم بأن العوامل النفسية تؤثر في السلوك الفردي، وأن هذا السلوك تمليه الأهداف المقصودة منه.

أما نظرية يونغ Yong وهي أكثر النظريات مرونة فإنها تؤكد على فكرة اللاشعور الجمعي في توجيه سلوك الفرد أكثر من اللاشعور الفردي، وقد ركز يونغ في نظريته على المستقبل أكثر من تركيزه على الماضي. (العكايلة، 2006، ص 138)

إنّ الشخصية السوية حسب وجهة نظر أتباع مدرسة التحليل النفسي تنشأ بسبب تعاون الأجهزة الثلاثة، ويؤدي هذا التعاون لإيجاد شخصية متزنة نفسيا، متكيفة مع المجتمع، أما اختلافها نتيجة التربية الخاطئة أو النمو غير السليم، فإنه يؤدي إلى حدوث صراع مرير بينها ويتضح هذا الصراع ويتركز بإحاطة الأنا أو الذات بثلاثة قوى، هي إتباع الدوافع الغريزية وفق مبدأ اللذة دون الالتفات إلى الواقع، ثم للذات العليا ومطالبها بالمنع والتحريم وإتباع القيم الأخلاقية والدينية وأخيرا الواقع البيئي والاجتماعي والقوانين التي تسود المجتمع، وما يتطلبه هذا الوضع من ضرورة التقيد والخضوع.

إنّ وجود هذا الصراع يدفع بالذات أو الأنا للتخلص منه حتى تستعيد الشخصية توازنها إما بسلوك سوي أو بسلوك غير سوي، وإذا ما انبثق عن هذا الصراع سلوك شاذ أو غير سوي فإنه يظهر بإحدى الصور التالية. (العكايلة، 2006، ص 139)

أ– السلوك الذهني: وتحذف هذه الصورة في حالات الجنون عند اندفاع الرغبات والدوافع بصورة حية وواضحة للعيان، وتسعى لإيجاد طريقة للإشباع دون قيود أو اعتبار للقيم والعادات والقوانين السائدة.

ب– السلوك العصابي: هو نتيجة ضعف قدرة الذات أو انعدامها في إيجاد حالة توازن نتيجة الصراع بين الدوافع والرغبات من ناحية وبين الضمير أو الأنا الأعلى من ناحية

أخرى، ونتيجة لهذه الحالة تعجز الذات عن اتخاذ قرار مناسب إزاء أي سلوك، فينشأ القلق والتوتر، وتبدأ الذات بالبحث عن مخرج أو وسيلة للحل، فإذا كانت الذات ضعيفة فإنها تلجأ إلى العمليات اللاشعورية كالكتب والإسقاط، وهذه الذات لا تفقد وظيفتها مطلقا، وإنما تقف مترددة وهذا التردد يعيق الإقدام على العمل الناضج، وتعتبر هذه الحالة من قبيل المرض النفسي.

ج– السلوك الجانح: وينشأ نتيجة ضعف الذات، وعدم قدرتها على اتخاذ القرارات اتجاه أي سلوك أو موقف مطلوب، والتردد بين إشباع الرغبات والدوافع الغريزية من جهة، وبين الذي تعيشه من جهة أخرى، علاوة على أن ضعف الضمير الأخلاقي، يشوه العلاقة بينه وبين الذات.

وما يمكن استنتاجه من خلال الإطلاع على تفسيرات نظرية التحليل النفسي للسلوك المنحرف هو أن الشخصية الإنسانية تتشكل تدريجيا من خلال تكون عناصرها الثلاثة (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) وأن التنشئة الاجتماعية عامة والأسرية على وجه الخصوص هي التي تنم عملية إشباع غرائز الأفراد وتوجهها الوجهة الصحيحة، فإذا كانت التنشئة غير سليمة نمت الأنا نموا خاطئا معوجا، وهذا ما يسبب الفشل للطفل من حيث تطبيع دوافعه الغريزية، فتتخزن هذه الدوافع في اللاشعور حتى تسنح الفرصة لإشباعها.

3.4 النظرية الاجتماعية: تركز النظريات الاجتماعية في دراسة الانحراف على كونه ظاهرة تخضع لتفاعلات المجتمع وحركته، ولا يمكن فهم السلوك الجانح أو الشاذ إلا من خلال دراسة المجتمع.

وتهتم النظرية الاجتماعية بعلاقة وأثر العوامل الاجتماعية على جنوح الأحداث وتعتبر النظرية الاجتماعية بمثابة رد فعل على النظرية النفسية والبيولوجية والتي ركزت اهتمامها على التفسير الفردي وتهميش أو إغفال العوامل الاجتماعية والبيئية، ولا يخفى على أحد ما للبيئة من أثر واضح في نقل الأفكار والتراث الحضاري للمجتمعات، وتؤثر كذلك على طريقة تفكير الفرد وتفهمه لأمور حياته، وهي كذلك تحدد نوعية علاقة الفرد بالآخرين

ويسعى الإنسان جاهدا لإيجاد توازن بين متطلبات بيئته والقوى التي تغلف شخصيته حتى يصل إلى مستوى القناعة والرضا من أجل تحقيق عناصر شخصية متكاملة.

ومهما اختلفت وتشعبت وجهات نظر الاجتماعيين ووسعت أضيقت نطاق أثر البيئة والعوامل الاجتماعية إلا أنها تتفق في الإطار العام من حيث المبادئ النظرية والتحليل.

ومن أبرز النظريات الاجتماعية في تفسير السلوك الإنحرافي نظرية اللامعيارية لإميل دوركايم ونظرية روبرت ميرتون والنظرية الاقتصادية وسنخوض فيهم بشيء من التفصيل فيما يلي:

أ– نظرية اللامعيارية:

يعتبر إميل دوركايم أن الجريمة ظاهرة طبيعية توجد في أي مجتمع إنساني وتأتي هذه الظاهرة نتيجة طبيعة العلاقات الاجتماعية الموجودة في كل مجتمع. ولا يمكن لهذه الظاهرة أن تزول من المجتمعات ويعتبر كذلك أن العلاقة التي تربط الفرد والمجتمع محددة بنوعين من التضامن هما: التضامن الآلي، والتضامن العضوي، ويسود التضامن الآلي في المجتمعات البدائية البسيطة وتقل في هذا المجتمع نسبة الجريمة والانحراف، لأن العلاقات الاجتماعية بين أعضاء وأفراد هذا المجتمع تكون قوية ومتينة، لأنهم موحدون في الأفكار والمشاعر والوظائف أما التضامن العضوي ففيه نوع من الاختلاف بين أعضاء المجتمع من حيث الثقافة والمعتقدات والقيم والمشاعر والآراء والأفكار، وهذا النوع من الثقافة يسود المجتمعات العصرية المتحضرة. (العكايلة، 2006، ص 144)

ويرى دوركايم أن تمايز المجتمع وزيادة تعقيده يؤدي إلى فقدان التكامل وعدم القدرة على توفير وتحقيق التضامن وبهذه الحالة يصل المجتمع إلى حالة (الأنومي: ANOMIE)، وبالتالي يسهل على أي فرد مخالفة ومعارضة النظم والقوانين المرعية. ويقصد بالأنومي: افتقار المجتمع إلى المعايير والقواعد القانونية التي تنظم حياة أفراده وسلوكهم، وكذلك أن يسير الفرد في المجتمع دون هدف أو معايير سلوكية للوصول إلى ما ينشده ويسعى إليه. (العكايلة، 2006، ص 144)

وتخلص نظرية دوركايم في اللامعيارية إلى أن حجم الجريمة يتناسب طردا مع حجم التضامن الموجود في المجتمع أو مشوهة المعالم تظهر حالة اللامعيارية والفوضى السلوكية ويتجه الفرد لارتكاب الأنماط السلوكية الشاذة المنحرفة والمضادة للنظام الاجتماعي السائد في المجتمع. (العكايلة، 2006، ص 144)

وعموما يقدم دوركايم تفسيرات خاصة عن الجريمة والسلوك الانحراف كالآتي: (الدوري، 1985، ص 204-205)

- الجريمة ظاهرة مرضية تشكل في طبيعتها عدوان على المشاعر الجماعية أو على الضمير الجمعي.
- الجريمة ظاهرة لا يمكن إغفال تصاعد معدلاتها بشكل هائل، فتمتد بداية القرن 19 ارتفعت معدلاتها من الناحيتين الكمية والنوعية إلى درجة فاقت الحدود المألوفة في المجتمعات الإنسانية.
- قد تصبح الجريمة ضرورية لأنها جزء من شروط الحياة الاجتماعية.
- إن الجريمة تفتح المجال لتغير اجتماعي بناء لأن وجودها في المجتمع يجعل الضمير الجماعي على درجة من المرونة، حيث يكون قادرا على اتخاذ مواقف جديدة تسهم الجريمة في تحديد مساراتها.

وما يمكن ملاحظته على نظرية دوركايم هي أن هذه النظرية لم تضع تقسميا كاملا للمجتمعات، حيث اقتصرت على نوعين من المجتمعات الآلي. ومجتمع التضامن العضوي. مما جعلها عاجزة عن تفسير السلوك المنحرف في الأنماط الاجتماعية الأخرى.

كما لم تستطيع نظرية اللامعيارية تفسير ظاهرة ارتكاب السلوك الإنحرافي عند البعض وعدم ارتكاب هذا السلوك عند آخرين مع أنهم يعيشون في بيئة واحدة، وفي ظل مجتمع آخر إلى جانب مبالغة نظرية دوركايم في إعطاء الفعل الجمعي دورا يستطيع به التأثير على سلوك الفرد وإغفال دور وآثار القيم الأخرى.

ب– نظرية روبرت ميرتونMerton:

وتعرف بنظرية التركيب الإجتماعي واللامعيارية تفسر الجريمة والسلوك الإنحرافي بالانطلاق من فكرة أن الحياة الاجتماعية تتضمن جزئين رئيسيين هما: الجزء الثقافي الذي يتكون من الأهداف التي تحددها وترسمها الثقافة وهذا الجزء له أهمية كبيرة لأنه يرتبط بأهداف وغايات المجتمع وتقدمه والمحافظة عليه. ويتطلب هذا البناء أن تكون لدى أفراد المجتمع جهود دؤوبة وطموحات عالية لتحقيق هذه الأهداف، أما الجزء الثاني فهو الجزء الاجتماعي الذي يتضمن العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع. وأن الانحراف يحدث عندما تختلف الأهداف والغايات المقررة في المجتمع وكذلك عندما تختلف طرق ووسائل تحقيق هذه الأهداف.

ويوضّح "روبرت ميرتون" ذلك بقوله: "إنما يمكن تفسير السلوك الإجرامي من وجهة النظر الاجتماعية على أنه ظاهرة من ظواهر الانفصال وعدم الترابط والوفاق بين مجموعة الغايات والأهداف التي تحددها الجماعة حسب ما تمليه الثقافة السائدة وبين وسائل (المعايير والقواعد) التي تنص عليها ويقرها التنظيم الجماعي والبيئة الاجتماعية لتحقيق هذه الغايات لبلوغ الأهداف". (العكايلة، 2006، ص 150)

ويظهر سلوك الانحراف عندما يعرقل البناء الاجتماعي أو يعيق تحقيق أهداف الأفراد في المجتمع. فيلجأ الفرد إلى إتباع وسائل غير مشروعة لا تقرها القيم والقواعد القانونية لتحقيق الأهداف. إن التناقض الذي يصل بين الغايات والأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها وبين عدم إتاحة الوسائل المشروعة للوصول إلى تلك الأهداف يؤدي إلى حدوث صراع شديد. وهذا يؤدي إلى اختلال التوازن ونشوء السلوك الإنحرافي.

وأنّ عدم قدرة الفرد على الوصول لأهدافه وغاياته، وتحقيق رغباته نتيجة العوائق الاجتماعية والظروف المحيطة به يؤدي إلى الإحباط. ويؤكد أتباع هذه النظرية أن الإحباط هو سبب الانحراف. ويتمثل ذلك عندما يحاول الفرد تحقيق أهدافه بالطرق المشروعة السليمة، ولكن لإنتاج له الفرصة من أجل تحقيقها، ولأن إتاحة الفرصة لتحقيق الأهداف

هو عنصر هام في هذه النظرية، وأن الإحباط الناشئ عن عدم إتاحة الفرص يدفع إلى التفكير بالحيل الدفاعية من أجل إشباع رغباته، وتحقيق أهدافه التي يسعى إليها.

إلى جانب هذا وضمن الاتجاه الاجتماعي في تفسير الانحراف لابد من التعرض إلى نظريات ركزت على دور الأسرة والمحيط في تعزيز وتشكيل السلوك الإنحرافي، ولكل من هذه النظريات من ركزت على العلاقات الأسرية وأثرها على سلوك الفرد كأساليب معاملة الفرد داخل الوسط الأسري وأهمية التنشئة الاجتماعية والتي من بينها نظرية التعلم الاجتماعي.

ج–نظرية التعلم الاجتماعيsocial Learning theory: (العكايلة، 2006، ص 152)

تتلخص هذه النظرية في أن للتنشئة الإجتماعية علاقة مباشرة بالجنوح وانتشار الإنحراف بين المراهقين نتيجة الإختلاف والتباين في خبرات التنشئة الإجتماعية، ودور العلاقات الإجتماعية في التحكم في تكوين السلوك المنحرف وللتخفيف من ذلك يجب تعزيز سلوك التمثل عند الأطفال بدرجة كبيرة وتتعزز الرابطة بين الفرد الجانح والجماعة الجانحة مثلما تتعزز الرابطة بين الفرد والجماعة عبر سلوك التمثل، إلا أن هناك تباينا بين التعزز في الحالتين السابقتين، إذ يعتمد هذا التباين على:

أ. الاختلاف بين الأفراد من حيث التنشئة الاجتماعية والمعتمدة على مدى التوازن في اكتساب السلوك سواء كان هذا السلوك منحرفا أو متمثلا.

ب. مدى اتساع أو ضيق خبرات الفرد المعززة للسلوك المنحرف.

د. النظرية الاقتصادية في تفسير الانحراف:

يربط رجال الاقتصاد العوامل والمؤثرات الاقتصادية بسلوك الفرد ويوضحون ذلك بقولهم إن انخفاض دخل الفرد يردي إلى الفقر وخفض الإنتاج وإنهاء خدمات كثير من العمال والمستخدمين ويرتب على هذا الوضع زيادة نسبة البطالة في المجتمع، وزيادة حجم الفساد الاقتصادي وأن طول فترة البطالة يعني الحرمان من إشباع الحاجات الأساسية للإنسان كالمأكل والملبس والمشرب، وهذا يردي إلى نمو وتطور نظرة الحقد والكراهية والعدوان عند هذه الشريحة المحرومة أو العاطلة عن العمل، وبالتالي ظهور بوادر الانحراف والإجرام.

إنّ الفقر وبحسب رأي مؤيدي وأنصار النظرية الاقتصادية يعتبر أحد أهم العوامل الرئيسية في تشكيل السلوك الإجرامي والأنماط الإنحرافية في المجتمع، وذلك بسبب الفاقة والحاجة المادية والعوز. (العكايلة، 2006، ص155)

ويعتبر الفقر في غالبة دول العالم الثالث سبب المرض والشقاء والبؤس والجوع والحرمان ويسعى الفرد بأية طريقة للحصول على حاجاته الأساسية، وعندما توصد الأبواب المشروعة في وجهه، فإنه وبدون شك يلجأ إلى إتباع السل الملتوية والطرق المنحرفة التي تضر بالفرد والمجتمع، بل وتهدد كيانه واستقراره الاقتصادي.

ولعّل من الملاحظ أن جرائم السرقة تزداد معدلاتها بشكل ملحوظ في الوقت الذي يشهد فيه أي بلد كسادا اقتصاديا، أو يمر بأزمات اقتصادية، وكذلك فإن ظاهرة الجريمة بشكل عام ترتفع معدلاته عندما يتدهور الوضع الاقتصادي في أي بلد، كما أكدت كثير من الدراسات على أن الفقر يعتبر بيئة مناسبة وتربة خصبة تتهيأ فيها جميع الفرص لارتكاب الجريمة وممارسة الأنماط السلوكية المنحرفة، ولما كان النشاط الاقتصادي يمثل جانبا هاما في حياة الإنسان وإبراز العلاقات الاجتماعية، لذا فإن كارل ماركس (Karl Marx) يذهب إلى أن القضاء على ظاهرة الجريمة بإصلاح النظام الاقتصادي. (يسري و عثمان، 1970، ص 119)

هذا ويعتبر العالم الجنائي الهولندي وليم بنجر (Bongèr) على رأس العلماء الذين ينسبون تكون الجريمة إلى أحوال المجتمع العامة التي يكون سببها سوء الأحوال الاقتصادية الناجمة عن النظام الرأسمالي المستبد، والذي يجبر أفراد المجتمع الذين يعيشون في ظله خاصة الطبقة الكادحة الفقرة على الخروج عن القانون وسلوك دروب الإجرام والانحراف، لأن الطبقة الرأسمالية في نظرهم هي طبقة شجعة تحاول الاستثمار والثراء بأية طريقة.

دون أن تكترث بالحالة السيئة للطبقة الفقيرة التي يضطر أفرادها أحيانا إلى بيع قوتهم الجسدية لتذوب وتضمحل من جراء ساعات العمل الطويلة أمام الآلات وبين جدران المصانع التي يمتلكون الرأسمالية مقابل أجور زهيدة لا تسد حاجاتهم وقوت أسرهم الكبيرة.

ولهذا يقر بنجر أن الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يسببها النظام الرأسمالي هي المسؤولة عن كثير من الجرائم كالسرقة، التزوير، والاختلاس والنصب والاحتيال، ولهذا دعا في نظريته إلى الحد من انتشار الجريمة والانحراف بوضع مصادر الثروة ورأي المال تحت إشراف الدولة وإلغاء مبدأ الربح التأميمي.

كما أن بعض علماء التنظير الجنائي الاقتصادي يربطون بين الإجرام والدورة الاقتصادية، إذ أن أي مجتمع عندما يشهد رخاء اقتصادي فإن هذا الرخاء يشجع على ارتكاب جرائم القتل والاغتصاب وإهمال الأطفال وتشردهم بسبب انهماك الآباء وانشغالهم في جمع مصادر الثروة بجميع الوسائل المشروعة أو غير المشروعة وإنفاقه في أبواب الملذات والترف، أما إذا شهد المجتمع فترة كساد وبطالة وسوء الأحوال الاقتصادية فإن هذا يدفع إلى ارتكاب جرائم النصب والتزوير والسرقة والاحتيال.

غير أن بعض الدراسات التي أجريت دراسات عدة على مجتمعات فقيرة وجد أن بعض أفرادها كان سلوكه منحرفا والبعض الآخر كان سلوكه عاديا طبيعيا. وهذا يدلّ على أنه ليس بالضرورة أن يقترن الجنوح بالفقر كما أن بعض البلدان الاشتراكية تشهد رخاء اقتصاديا. وتدعي أن لا وجود للفقر في مجتمعاتها، فما هو تفسير وجود أعداد كبيرة من المنحرفين في مجتمعاتها، وما هو تعليل وجود حالات من الانحراف تتربى وتنشأ في أسر غنية ميسورة.

وخلاصة الأمر هو أنه من الخطأ أن ينسب الانحراف إلى الفقر، ولعل ما يثبت صحة ذلك أن كثيرا من المجتمعات المتمدنة والراقية والتي تشهد رخاء اقتصاديا في جميع المجالات لم تقدر لغاية الآن على التخلص من آثار وأخطار ظاهرة الجريمة أو الانحراف.

واعتنقته واعتبرته العامل الهام في انحراف الأحداث منطلقة بذلك من أثر الاضطرابات النفسية والعقلية والعاطفية ودورها في إحداث خلل في شخصية الفرد وتبنيه سلوكا مضادا للمجتمع. أما علماء الاجتماع فقد انطلقوا من مبدأ أن الانحراف يصنع لا يولد على اعتبار أن الإنسان يولد كالصفحة البيضاء والإعلام والوضع الاقتصادي...الخ هي التي تؤثر في تنشئة هذا الفرد وتؤدي به إلى الطريق السوي أو الطريق المنحرف.

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أنه لا يمكن رد انحراف الأحداث إلى عامل واحد دون غيره بل إن اتحاد واجتماع هذه العوامل أو أغلبها النفسية والجسمية والاجتماعية مع بعضها في موقفها، بالإضافة لوجود الاستعداد الجرمي للفرد ينتج عنه اندفاع هذا الفرد نحو الأنماط السلوكية المنحرفة أو ما يسمى بالجنوح أو الإجرام، ولاشك أن الاتجاه التكاملي قد جمع ووفق بين وجهات النظر الفردية أو الذاتية وبين وجهات النظر الاجتماعية في تفسير الجنوح أو الانحراف مؤكدا على أنه لا يمكن لأي عامل وحده دون وجود عوامل أخرى أن يحدث السلوك الإنحرافي بل أن هذا الانحراف ينشأ نتيجة تضافر هذه العوامل مع بعضها البعض.

5. تأثير مؤسسات التنشئة الأسرية في انحراف الأفراد

تعنى مؤسسات التنشئة الاجتماعية على اختلافها ببناء شخصية الأفراد بما يتوافق مع الأخلاق والقيم والمعايير الاجتماعية، لكن قد يحدث وأن تعاني مؤسسات التنشئة الاجتماعية إحداها أو كلها خللا يحول دون تأديتها وظيفتها على أكل وجه قد ينتج عنه انحراف الأفراد عن المعايير والقيم الأخلاقية التي تمجدها الجماعة، وسنعمد في هذا الموقع من البحث إلى التعرض إلى بعض الأمور التي قد تؤدي بالشخص إلى الانحراف بإسهام من مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

1.5 الأسرة وأثرها على الانحراف:

تعتبر الأسرة أهم مؤسسة مسؤولة عن بناء شخصية الطفل، وبالتالي عن نمط سلوكه وقيمه وغرس الصفات والأخلاق الحميدة فيه، وهناك عدة دراسات أسباب الانحراف وعلاقته بالأسرة، وكذلك دور الأسرة المفككة بالانحراف السلوكي، وبعض هذه الدراسات ترى أن الأسرة المفككة لها دور فعال في تكوين السلوك الانحرافي والإجرامي لدى الطفل وبعضها يرى خلاف ذلك.

إن الأسرة من الجماعات الأولية بالنسبة لتربية الطفل وتوجيهه والاهتمام به، لذا فتكوينه يتأثر بشكل كبير بالأسرة، وكذلك مستقبله فلا شك أن تفكك العائلة وانشغال

الوالدين بالعمل قد يؤدي إلى تفكك في بنيان الأسرة بسبب انتشار الخلاف الذي يؤدي إلى الطلاق أحيانا بين الوالدين، أو عدم إشباع حاجات الأسرة المادية والمعنوية أو بيولوجية أو اجتماعية، مما يؤدي إلى اختلال توازن نسق الأسرة الذي قد ينتج عنه انحراف في وظيفتها وعلاقاتها خاصة وأن العلاقات الإنسانية السائدة داخل الأسرة في كل المجتمعات أساس استمرارها واستقرارها أو انهيارها وتفككها "فهي التي تحدد الأدوار والمهام التي يقوم بها كل عضو داخلها فكلما أنجزت الأدوار كلما ازدادت شبكة العلاقات قوة الشيء الذي يؤدي إلى تماسك الأسرة واستقرارها والعكس صحيح كلما كان التسيب والإهمال وعدم متابعة القيام بالأدوار كلما ضعفت العلاقات الأسرية، والنتيجة تفكك الأسرة وتصدعها وانحراف أبنائها". (زرارقة، 2004-2005، ص 212)

عموما تساهم الأسرة في نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال المتعاقبة في شكل قيم وعادات واتجاهات فتكون لدى الطفل عقلية التمييز بين الجائز وغير الجائز(زيدان، 1980 ،ص 238)، فالأسرة هي المسؤولة عن بلورة سمات وخصائص الشخصية لدى الفرد من خلال عملية الرعاية والتربية التي تمارسها على الوليد البشري في السنوات الأولى من حياته حيث أكد الأطباء والخبراء النفسيين والعلماء المختصين أن خيال الأبناء في السنة الثالثة من العمر يبدأ في تقمص سلوك الآباء والأمهات ويحتفظ الأبناء بالنماذج السلوكية التي يلاحظونها على آبائهم في خيالهم ونفسيتهم ثم تغذوا سلوكاتهم تلقائيا في حياتهم الاجتماعية فإذا كانت هذه النماذج السلوكية صالحة ومعتدلة فهذا يدل على أن شخصية الطفل شخصية سليمة تتوفر على الخصائص الكريمة والسوية المطلوبة والمقدرة من قبل المجتمع وإذا كانت نماذج فاسدة تحمل في ثناياها الانحراف والفساد الخلقي والسلوكي فإن هذا يدل على فساد الطبع لدى الطفل واضطراب شخصيته (عامر و شريف، 1989، ص79)، وهذا الأمر يمكن التأكيد عليه بالملاحظة البسيطة حيث أن الأسرة التي يدخن الآباء فيها نجد أطفالها يتجهون إلى التدخين في سن مبكرة تقليدا لهم واعتقادا منهم أن ما يفعله الكبار أمر صح ما دام هؤلاء الكبار هم المصدر الذي يتشرب منها الطفل القيم والأخلاق ويميز من خلالها الصواب من الخطأ. ونفس الأمر عن الأمور السلبية أو الإيجابية الأخرى.

إن خروج الأسرة عن جادة الصواب من حيث تنشئة الأطفال تنشئة سليمة واعتمادها الطرق الخاطئة في هذه العملية الهامة في دورة حياة كل فرد يؤدي بالكثير ممن يتعرضون لهكذا تنشئة إلى السقوط في هاوية الانحراف والجنوح.

فتقاعس الأسرة عن أدوارها التربوية المختلفة وتنازلها عنها لجهات اجتماعية أخرى رسمية أو غير رسمية لها انعكاسات وخيمة تعود على الطفل وتجعله عرضة للانحراف والجريمة.

ومن المظاهر التي يؤدي تواجدها داخل مؤسسة الأسرة إلى الإخلال بدورها التربوي ويساعد في تفشي ظاهرة الانحراف نجد:

1- الإهمال وسوء التربية وغياب التوجيه والمراقبة والإشراف والعنف في المعاملة أو التدليل الزائد والتفريط في التعليم الديني وإهمال العلاقات الاجتماعية للفرد وفقدان القدوة الحسنة، وضمن هذا الإطار خلص الباحثان " ألسن ومايكل" إلى نتيجة هامة من دراسة أجروها على مجموعة من الأحداث، أن الأطفال المنحرفين العدوانيين والمضطربين انفعاليا والمتأخرين دراسيا، قد تعرضوا للقسوة والنبذ من الوالدين وأن 80 إلى 90% من الأحداث المنحرفين كانوا في طفولتهم ضحايا سوء معاملة الوالدين والنبذ والتسلط الذي عاشوه في طفولتهم، لذلك يعتقد الباحث "راجيل" أن أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة أو غير السوية تحدد عدد الجانحين والمنحرفين الفعليين في أي مجتمع من المجتمعات (أبو جادو، 1998، ص222).

2- الخلافات الأسرية المفضية إلى التفكك الأسري بنوعيه المادي (الطلاق أو موت أحد الوالدين أو كلاهما) أو المعنوي (انفصال عاطفي معنوي)، وما ينجر عنه من اهتراء شبكة العلاقات الأسرية وتزعزع الصلات الاجتماعية والأخلاقية والتربوية التي تربط بين أفرادها وما يتبعها من تأثيرات على سلوك الأفراد قد تؤدي بهم إلى الانحراف والجريمة ففي دراسة قام بها محي الدين مختار عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر سنة 1995 توصل إلى نتيجة مفادها أن تفكك بنية المؤسسة الأسرية يؤدي إلى خلل في القيام بالدور الاجتماعي التربوي للمؤسسة الأسرية، وأن الخلل القائم في

الدور الاجتماعي التربوي الذي تقوم به مؤسسة الأسرة يترابط مع ارتفاع حدوث الانحراف عند الأبناء الذكور في هذه المؤسسة (مختار، 1995).

3- انشغال الآباء كل منهما في عمله وهواياته ومشاكله وإهمال الأولاد وعدم إتاحة المجال لهم للعيش ضمن جو أسري يشعر فيه الطفل بأهميته ووجود من يرعاه ويحبه ويعالج مشاكله وبالتالي يجد الطفل نفسه مهملا وحيدا وهدفا سهلا للعادات السيئة ورفقاء السوء وهم سبل معبدة وسهلة وقصيرة إلى عالم الانحراف والجريمة، فالأسرة التي ينتشر الكره والإهمال العاطفي بين أفرادها تكون مسؤولة عن إنتاج قوافل من الأبناء المنحرفين والجانحين.

4- عنف وقسوة من قبل الوالدين في معاملة الأطفال أو الإفراط في التدليل وتلبية رغباتهم بدون حدود أو غض الطرف غير الواعي من قبل الآباء عن الأبناء وبدون إدراك من قبل الوالدين لخطورة امتلاك الأبناء لمختلف وسائل الاتصال الحديثة خاصة في مراحل عمرية حساسة كالمراهقة مما قد يوقعهم في عالم الانحراف والجريمة، ذلك أن لوسائل الإعلام دورا محوريا في تغذية بعض السلوكات العدوانية لدى الأطفال.

2.5 المدرسة وأثرها على الانحراف:

أكد علماء الاجتماع وعلماء النفس المهتمين بالتربية في بحوثهم ودراساتهم أن للمدرسة دور بارز في عملية تكوين شخصية الأفراد وأن دورها مكمل لما قامت به الأسرة، حيث يقضي التلاميذ معظم وقتهم فيها من أجل تلقي المعرفة واكتساب التربية التي تساهم في تكوين شخصية التلميذ وتحدد اتجاهاته وعلاقاته في المجتمع مستقبلا على اعتبارها الحلقة الوسيطة بين مجتمع الأسرة الضيق ومجتمع الحياة الواسع.

ورغم كون المدرسة مؤسسة عامة تخضع لسياسات إدارية ومالية وتربوية وتعليمية معينة، وتعمل من خلال محددات جغرافية وسياسات ثقافية وتربوية واقتصادية تتصل بطبيعة المجتمع الذي توجد فيه، فإن علاقة الطفل بمدرسته لا تتأثر بما يحمله هذا الطفل إلى مدرسته من مشكلات شخصية وأسرية ودور المدرسة لا يقتصر على تلقين العلوم النظرية

المختلفة بل يتجاوزه إلى تلقين الطفل التلميذ المبادئ الأخلاقية والمثل العليا التي تدفعه إلى التمسك بروح الفضيلة والاندماج في المجتمع.

لكن قد تفشل المدرسة في تحقيق وظيفتها بسبب عوامل متعددة منها ما هو متعلق بشخص التلميذ ومنها ما يتعلق بزملائه أو معلمه أو المواد الدراسية وموضوعاتها، أو ما يتعلق بالنظام المدرسي، فالطفل يبدأ في المدرسة بتكوين علاقاته ويبدأ تفاعله خارج محيط الأسرة مع المجتمع الخارجي، وقد ينتج عن هذه العلاقات والتفاعلات أن ينخرط الطفل في جماعة من الرفاق والأصدقاء سلوكاتهم منحرفة، أو قد يتلقى التلميذ معاملة سيئة من القائمين على العملية التربوية كالمعلم أو المدير أو المساعدين التربويين ما ينفره من المدرسة فيهرب منها حتى يتجنب المعاملة السيئة، وعندما يهرب من المدرسة يتسكع في الشارع أين يلتقي بأصدقاء ورفقاء سوء يمهدون له سبل ووسائل الانحراف فيكتسب بعض العادات السيئة وينخرط في طريق المنحرفين.

كذلك يساهم الفشل الدراسي في هروب الأطفال من المدرسة خاصة إذا كان نظام المدرسة غير ملائم في تربية الأبناء وتهذيبهم الأمر الذي يجعلهم عرضة للتواجد في الشوارع ومن تم الانخراط في جماعات منحرفة.

كما قد يصاحب الطفل رفقة سيئة داخل البيئة المدرسية تجذبهم إلى طريق الانحراف والقيام بسلوكيات معارضة للقيم الاجتماعية.

وهناك حقيقة مهمة وهي أن "بوادر الانحراف تظهر لدى الأطفال والمراهقين في المدرسة وخاصة بالنسبة لمخالفة القوانين الداخلية والنظام، ومن المتوقع أن تقوم المدرسة ببعض المهام التي هي من صميم الاختصاصات المطلقة للأسرة، وذلك لأن تصرفات التلميذ الخاطئة يمكن أن يلاحظها المعلم قبل أي شخص، فقد يرجع انتشار الجريمة إلى نقص الإمكانيات الموجودة في المدرسة والنقص في إعداد المعلم، ونقص في العناية الفردية بالطلاب والازدحام في المدارس".(M.Robiso, 1960, p. 144)

3.5 جماعة الرفاق وأثرها على الانحراف:

تعتبر جماعة الرفاق في المدرسة أو الحي أو الجيرة من المؤثرات الخارجية التي لها أهمية بالغة في عملية التنشئة الاجتماعية لما تمتاز به من قوة وتماسك وسلطة على أفرادها، وعندما ترتكب هذه الجماعة أول عمل يتنافى مع قيم المجتمع ومعاييره فإنها تفقد مقومات الضبط الذي كانت تشعر به في بداية تكوينها، ويبرز أثر هذه الجماعة في انحراف الفرد من خلال تهيئة الجو الملائم أين يشعر الفرد بالحرية والانطلاق خاصة إذا كان جو البيت والمدرسة مشحون بضغوط انفعالية تحرم هذا الفرد من التمتع بحرية التعبير عن رغباته بممارسة كل ما حرم منه ليشعر بمتعة بالغة بانضمامه لهذه الجماعة.

فالفرد خاصة في مرحلة الطفولة يكون بحاجة ماسة إلى اللعب وإقامة علاقات اجتماعية مع أقرانه لكي يمضي معهم أوقات فراغه خاصة إذا لم يجد في المنزل وسائل للعب والترفيه، وإذا لم يكن للأسرة علاقة باختيار أصدقائه فمن الحتمي أن يعمل من الشارع مسرحا لنشاطه التلقائي، والشارع كما يجمع الدارسون هو بؤرة الانحراف والجريمة.

كما قد تؤثر جماعة الرفاق على قيم الأطفال فيما يتعلق بالمقارنات التي قد يترتب عنها مشكلات وانحرافات سلوكية، مما قد يرفع من تقدير الطفل لذاته، أو يحقر من شأنه، ويميل الأطفال إلى تقليد ما يقوم به أقرانهم من سلوك ويؤكد عالم الاجتماع الأمريكي سدرلاندSatherland في نظريته المخالطة الفارقة على أن السلوك يكتسب بالتعلم الذي يتم عند مخالطة الآخرين والتفاعل معهم في الجماعات المتميّزة بالقرب والألفة والتأثر بتوجيههم نحو تصرف معيّن في مواقف معينة فإذا كانت هذه الجماعة منحرفة تصبح عاملا مساعدا خلق السلوك المنحرف.

4.5 وسائل الإعلام وأثرها على الانحراف :

تساهم وسائل الإعلام بمختلف أنواعها المقروءة أو المسموعة أو المرئية في عملية تربية الأجيال لما تحتوي عليها من مثيرات حسية وعقلية وانفعالية، غير أن انعدام الرقابة للكثير من وسائل الإعلام الثقافية أدى إلى ظهور مجموعة من المشاكل السلوكية لدى الأفراد،

كذلك من الملاحظ أن معظم وسائل الإعلام السمعية والبصرية تولي اهتماما كبيرا ببرامج الكبار مهملة في ذلك نشاطات الصغار التربوية والعلمية والثقافية.

فما يبث من برامج خاصة في التلفزيون الذي يقضي الأطفال وقتا كبيرا في متابعته قد يوقعهم في الحيرة والخلط بين الوهم والحقيقة فيما يشاهده على الشاشة الصغيرة، وأنه قد يعرض الطفل للصدمة بما يعرضه من صور العنف والجريمة في صورة جذابة ...ومن المعلوم أن الأطفال يقلدون ما يشاهدونه ويتقمصون أدوار الأبطال والشخصيات كنماذج اجتماعية لهم.

ونجد الجرائم هي الأخرى كثيرا ما تنشر أحداثا مفصلة عن جرائم معينة دون توجيه أو وعي بخطر هذا الفعل على سلوك الأطفال، وهناك من الصحف من لا تتورع عن الكتابة عن الجنس والشذوذ الجنسي والجرائم الجنسية بلا وعي قصد جلب الزبائن وترويج مبيعاتها.

إن وسائل الإعلام لها تأثير على الانحراف وخاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين فقد لاحظ دونالد تافت DounaldR.Taft أن التلفزيون وغيره من الوسائط يوجه إلى الجريمة بصفة غير مباشرة عن طريق القيم التي تورث الجريمة أو السلوك الاجتماعي الذي قد يوجد في الثقافة العامة والاتجاه نحو العنف أكثر مما يكون عن طريق التأثير المباشر لموضوعات الجريمة ذاتها، كما أشار وليام هيلي William Heal أن بعض الأشخاص يميلون إلى العنف والعدوان، وأن عرض مشاهد الجريمة في التلفزيون من شأنه أن يحرك لديهم هذه الفطرة ويساعدها على الانطلاق. (حمودة، 2007، ص 188)

وفي السنوات الأخيرة أصبحت شبكة الانترنت Internet من أهم شبكات المعلومات والإعلام والاتصال وأكثرها استخداما من قبل الصغار والكبار وتعد خطيرة على صغار السن على اعتبار أنها واسعة وتحتوي على كل شيء الجيّد والقبيح مما يعرض الطفل لمعلومات وصور غير لائقة لا تتناسب مع عمره وعقله وما يترتب عليها من آثار سلبية نفسية واجتماعية وأخلاقية نتيجة ما قد يشاهده من عنف أو جريمة أو خلاعة.

إن أثر وسائل الإعلام على الانحراف قد يكون مباشرا عن طريق تقليد الأطفال لمشاهد العنف والجريمة والسلوكات الإنحرافية عند مشاهدتها في وسائل الإعلام أو قد يكون تأثيرا غير مباشرا من خلال تنمية الاستعداد الإجرامي والمغامرة بأفعال العنف والسرقة أو اللباس غير اللائق.

الخاتمة

إن ما يجب الإشارة إليه في ختام هذه المساهمة العلمية المتواضعة هو أن معدل الانحراف في تزايد مستمر في جميع أنحاء العالم وأن العوامل المساهمة في إنتاج هذه الظاهرة كثيرة ولا يمكن حصرها خاصة في ظل التقدم المتسارع في العالم المادي الذي لم يصاحبه تقدم وتطور على المستوى القيمي والأخلاقي على حد تعبير "أنتوني غندز"، وتبقى مؤسسات التنشئة الاجتماعية إحدى وسائل التحصين ضد انتشار وتفشي ظواهر الانحراف والجريمة، ولذلك عاينت هذه الورقة البحثية الإختلالات والانزلاقات التي قد تقع فيها هذه المؤسسات عن قصد أو غير قصد والتي من شأنها أن تساعد في انتشار وزيادة معدلات هذه الظاهرة لأن معرفة الداء يسهل من إيجاد وصفات الدواء، فقد يحدث أن توجد ظروف داخل مؤسسة الأسرة كانحراف الوالدين أو التنشئة الخاطئة أو ضعف المستوى المعيشي أو ضعف مستوى الرقابة الأسرية وغيرها تؤدي بشكل أو بآخر إلى زيادة إنتاج المنحرفين داخل المجتمع وكذلك الأمر بالنسبة للمدرسة إذ يؤدي توافر ظروف لا وظيفية داخل المؤسسة المدرسية إلى إنتاج ظاهرة الانحراف والأمر عينه بالنسبة لمؤسسات التنشئة التي يعول عليها المجتمع في عملية إنتاج المواطن المتكيف اجتماعيا حيث أن وجود اختلالات داخل هذه المؤسسات يؤدي إلى نتيجة عكسية ويزيد من تفشي ظاهرة الانحراف والجريمة.

الإحالات والمراجع:

- **المراجع العربية:**

أولا: المعاجم والقواميس

1. فاروق مداس. (2003). *قاموس مصطلحات علم الاجتماع*. (دط، المحرر) سلسلة قواميس المنار: دار المدني للطباعة والنشر.
2. مُحَمَّد عاطف غيث. (2006). *قاموس علم الاجتماع*. القاهرة: دار المعرفة الجامعية–قناة السويس–.
3. مُحَمَّد عاطف غيث. (1972). *قاموس علم الاجتماع*. (دط) الإسكندرية: دار الكتب الجامعية.

ثانيا: الكتب

4. مُحَمَّد سند العكايلة. (2006). *اضطرابات الوسط الأسري وعلاقتها بجنوح الأحداث*. (دط) لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
5. مُحَمَّد عارف. (1981). *الجريمة في المجتمع*. (ط2) القاهرة: المكتبة الأنجلو–مصرية.
6. مُحَمَّد فتحي. (1958). *علم النفس الجنائي*. (ط3) مصر: مكتبة النهضة المصرية.
7. مُحَمَّد فتحي. (1958). *علم النفس الجنائي*. (ط2) مصر: مكتبة النهضة المصرية.
8. مصباح عامر. (2003). *التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية*. (ط1) دار الأمة .
9. مصطفى الخشاب. (دس). *معجم علم الاجتماع*.
10. منتصر سعيد حمودة. (2007). *انحراف الأحداث* . (د ط) الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
11. علي ليلة. (د س). *الطفل والمجتمع: التنشئة الاجتماعية وأبعاد الانتماء الاجتماعي*. (دط) المكتبة المصرية.
12. عدنان الدوري. (1985). *أسباب الجريمة و طبيعة السلوك الإجرامي*. (ط1) الكويت: منشورات ذات السلاسل.
13. عبد الرحمان العيسوي. (2000). *التربية النفسية للطفل المراهق*. بيروت–لبنان: دار الراتب الجامعية.
14. صلاح الدين شروخ. (2004). *علم الاجتماع التربوي*. الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.
15. صالح مُحَمَّد علي أبو جادو. (1998). *سيكولوجية التنشئة الاجتماعية*. (ط1) عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
16. سامية مُحَمَّد جابر. (2004). *سوسيولوجيا الانحراف*. (دط) الإسكندرية، جامعة الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
17. زكريا الشربيني، و يسرية. (1996). *تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته*. (دط) دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
18. حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (2003). *الأسرة والمجتمع*. الإسكندرية–مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
19. حامد عبد السلام زهران. (1980). *التوجيه والإرشاد النفسي*. (ط2) مصر: مكتبة عالم الكتب.

20. أنور علي يسري، و آمال عبد الرحيم عثمان. (1970). *علم الإجرام وعلم العقاب*. (دط) القاهرة: دار النهضة العربية.

ثانيا: الرسائل والأطروحات

21. فيروز زرارقة. (2004-2005). *الأسرة وعلاقتها بانحراف الحدث المراهق*. الجزائر، جامعة منتوري-قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علم اجتماع التنمية.

- **المراجع الأجنبية:**

- **Ouvrage:**

22. Sophia M.Robiso .(1960) *.Juvenilede limquccy: il snature and control* .New York.